نبـذة عن :

سون تزو (551 - 496 ق.م)

ولد سون تزو في عام 551 قبل الميلاد، وتوفى عام 496 قبل الميلاد، ذاع صيته بسبب عبقريته العسكرية التي اشتهر بها، وقد كتب مجموعة من المقالات العسكرية الاستراتيجية، حملت اسم كتاب (فن الحرب).

عاصر سون تزو نهايات عصر (الربيع والخريف) الذي شهد تحول المجتمع الصيني من مجتمع العبيد إلى المجتمع الإقطاعي، وقد كثرت الحروب في ذلك العصر بين أكثر من 130 مملكة صغيرة، مما أدى في النهاية إلى ظهور خمس ممالك قوية تنازعت فيما بينها على السلطة والحكم. زادت هذه الحروب الطويلة من خبرات سون تزو العسكرية وأدت إلى صقل مواهبه.

رحل سون تزو إلى مملكة وو في شرق الصين (غرب مدينة شنجهاي اليوم)، حيث عكف على وضع مؤلفه : فن الحرب، وبلغت شهرة كتاباته إلى الملك، حيث قدم سون تزو 13 مقالة حول فن الحرب للملك الذي أولاها تقديرا عالياً وذلك بعد أن قرأها وأعجب أشد الإعجاب بما جاء فيها. فعين سون تزو قائداً عاماً لجيش مملكة تشي، الذي عمد بعدها إلى تدريب الجنود وصقل مهاراتهم وتوسيع المملكة، ساعد ذلك على تحقيق الانتصار تلو الآخر وتوسعة أراضي المملكة.

ومع توالي الانتصارات، زاد غرور الملك، وأصبح متكبراً لا يستمع إلى آراء واقتراحات الآخرين، مما دفع سون وو إلى ترك الملك، وعاش في قرية بعيدة في الغابات. وهناك نقح كتابه (فن الحرب) حسب خبراته التي اكتسبها في تدريب القوات والحروب والقتال.

وسون تزو اسمه الأصلي (سون وو) ، ولكن تغير اسمه بعد وفاته إلى (سون تزو) وكلمة تزو تعني الرجل الذي بلغ المراتب العليا في العلم والفلسفة. وقد ولد (سون تزو) في بلدة (لو آن) الواقعة في مملكة تشي، وهو ينحدر من عائلة عسكرية عريقة، فأبوه وجده ووالد جده كذلك كانوا يعتبرون من أهم القادة العسكريين ورواداً في خوض المعارك وقيادتها. كان كل ذلك سبباً في تلقي (سون) لأفضل العلوم العسكرية التي أهلته لأن يصبح أفضل اختصاصي صيني في المعارك الحربية والاستراتيجيات.

وتروى لنا المخطوطات الصينية أن سون تزو كان مواطناً وجندياً في مملكة تشي، وقد ذاعت شهرته في فنون الحروب والقتال . طلب منه الملك هوو لوو أن يضع خلاصة خبرته وتجاربه في كتاب، فكان الكتاب (فن الحرب) ذو الثلاثة عشر فصلاً.

وما أن انتهى سون تزو من كتابته سأله الملك هوو لوو قائلاً: (لقد قرأت كتابك (فن الحرب)، فهل يمكنني وضع نظرياتك عن إدارة الجنود تحت اختبار بسيط؟ " فرد (سون تزو) قائلاً :(بكل سرور يا مولاي.)

فسأله الملك مرة أخرى: (وهل يمكننا إجراء الاختبار على النساء ؟) فقال تزو: (بالطبع .. هذا سهل جداً.)

على الفور، تم حشد 180 امرأة من جواري قصر الملك، قسمهن سون تزو إلى مجموعتين، وعيّن على رأس كلتا المجموعتين إحدى المحظيات من الجواري، ثم أمرهن بأن يمسكن بالحراب في أيديهن، ثم خاطبهن قائلاً: (أعتقد أنكن تعلمن الفرق بين المقدمة والمؤخرة، اليد اليمنى واليد اليسرى؟) أجابته النسوة : (نعم) .

فمضى سون تزو قائلاً: (عندما أقول: انظرن أمامكن، فيجب عليكن النظر للأمام، وعندما أقول (دُرْن لليسار) فيجب عليكن الدوران باتجاه أيديكن اليسرى، وعندما أقول (دُرْن لليمين) فيجب عليكن الدوران باتجاه أيديكن اليمنى، وعندما أقول (درْن للخلف) فيجب عليكن الدوران باتجاه أيديكن اليمنى إلى ورائكن. فأجابته النسوة بأنهن قد فهمن كلمات الأوامر التي قد شرحها لهن.

قام سون تزو بإعداد الترتيبات من أجل بدء التدريب العسكري، ثم على دقات الطبول أعطى أوامره (درْن لليمين) لكن النساء انفجرن في الضحك ولم ينفذن الأمر، فعقّب سون تزو قائلاً: (إذا كانت الكلمات المستخدمة في إصدار الأوامر غير واضحة ومميزة، وإذا كانت تلك الأوامر غير مفهومة فهماً شاملاً، يكون القائد هو الملوم).

ثم أكمل تدريبهن فأعطى أوامره (درْن لليسار) لكن النساء انفجرن في موجات من الضحك ولم ينفذن الأمر، فعقّب سون تزو قائلاً: (إذا كانت الأوامر واضحة ومميزة، وإذا كانت الأوامر مفهومة تماماً ولم ينفذ الجنود الأوامر، فيقع اللوم وقتها على الجنود.) . هنا أصدر سون تزو الأوامر بقطع رقبة قائدتي كلتا المجموعتين أمام النسوة !

كان الملك يراقب التدريبات من مكان قريب، فلم يسرّه قتل جاريتيه المفضلتين عنده، فأرسل إلى سون تزو قائلاً: (لقد أصبحت واثقاً من قدرتك على

التعامل مع الجنود، ولن أسعد في حياتي بدون هاتين الجاريتين، لذا فإني أرغب في إنقاذ حياتهما.)

أرسل سون تزو مجيباً رسالة الملك: (بتكليفكم لي قيادة قواتكم العسكرية، فإن هناك بعض أوامركم التي لا يمكنني قبولها وأنا تحت هذا التكليف.)

وتم إعدام القائدتين أمام النسوة.

وعلى الفور عين (سون تزو) من تليهن في الحظوة لدى الملك كقائدتين للمجموعتين، وتم استئناف التدريب على صوت الطبول فلم يضحك أحد، وتقدمت النسوة في التدريبات العسكرية بكل دقة وانضباط دون أن يخاطرن بإصدار أي صوت ينم عن عدم انضباط أو ضحك.

ثم أرسل سون تزو رسالة إلى الملك قائلاً: (لقد تم تدريب وتنظيم الجنديات، وهن الآن على أتم الاستعداد لكي تستعرضهن، يمكنكم الآن استخدامهن في أي غرض يشاؤه ملكهُن، أصدر لهن الأمر ليخوضوا في الماء أوالنار. إلا أن الملك رد عليه: (فليعُد قائد الجيوش وليُنهى التدريب، بالنسبة لنا فلا رغبة عندنا في استعراضهن [1].)

عندئذ قال سون تزو: (إن الملك مُغرم فقط بالكلمات، ولا يستطيع ترجمتها إلى أفعال. استقر في ذهن الملك هوو لوو تمكن (سون تزو) من إدارة الجنود، فعينه القائد العام للجيوش، وأرسله ليحارب مملكة تشوو المجاورة فهزمها وشق طريقه إلى عاصمتها ينج، ثم إلى الشمال حيث زرع الخوف في مملكتي تشى و تشن، ومن نصر إلى آخر ذاع صيت سون تزو وتوسعت مملكة هوو لوو كما تروى لنا المخطوطات الصينية كيف انتصر سون تزو بجيش قوامه 30 ألف جندي على جيش عدوه الذي قوامه 200 ألف جندي، بسبب افتقار عدوه إلى عنصري التنظيم والإدارة.

---

(1) قصة (سون تزو) مع تدريب النسوة وانتصاراته العسكرية مأخودة عن أحد مواقع الإنترنت (بتصرف).